نصوص الخلق بين الحقيقة والتصور

أ.د نزار حبيب الخاقاني

م . م نازك نعيم البهادلي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

ملخص البحث :

تناول البحث عرض النصوص القرآنية ، والاحاديث المروية عن النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم وائمة اهل البيت عليهم السلام التي تناولت خلق الانسان ، ومناقشتها بغية الوصول الى الحقية التي اوضحتها تلك النصوص ، مستبعدين ما استنتج منه من اراء مخالفه للواقع العلمي والتي بنيت على روايات ضعيفة او نتيجة لتسرب الاسرائيليات الى الفكر الاسلامي فبنيت عليه بعض التأويلات الخاطئة والتي اوضحها البحث اعتمادا على اسلوب التحليل والاستنتاج .

Summary:

The research dealt with the presentation of Quranic texts and the Hadiths of the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) and the Umayyad's of Ahl al-Bayt (peace be upon them), which were discussed in the creation of human and to discuss them in order to arrive at the truth outline those texts. Which are based on weak accounts or as a result of the infiltration of Israeli into Islamic thought. It is based on some erroneous interpretations, which were explained by research based on the method of analysis and conclusion.

المقدمة :

ان من اعظم آيات الله سبحانه وتعالى هو خلق الانسان ، فكلما اكتشف الانسان شيء عن خلقه وتركيبه حتى ظن انه علم كيفية خلقه و تركيبه واحاط بها ادت الاكتشافات العلمية المتسارعة الى اثبات عجزة عن ادراك ذلك ، غير ان خلق الانسان وكل ما يحيط به قد تناوله ائمة اهل البيت عليه السلام في احاديثهم ، غير ان فهمنا القاصر عن ادراك علمهم وامرهم يجعلنا نعيد قراءة احاديثهم لنجد اننا غفلنا جانبا منها في كل مره ، ذلك لانهم عليهم السلام يحدثون الناس على قدر عقولهم ، فكلما تفتحت اذهان العلماء كانوا اقرب لفهم حديثهم ، وهو ما يدفعنا في كل مره للبحث ، عما غاب عن فهمنا واشار لها ائمتنا عليهم السلام، لاسيما خلق حواء عليها السلام، حيث بقيت صورة خلقها مؤطرة بالتأويلات الاولى لاحاديثهم عليه السلام ، مع ما بها من محدودية لا تتناسب مع تطور العلم الحديث ، فإعادة القراءة للنصوص مع استيعاب الحقائق العلمية الحديثة ، تجعل الصورة مختلفة لتكون اكثر قربا من الحقيقة .

لقد استند البحث على تناول الآيات القرآنية ، التي اشارت الى الخلق بالإضافة الى الاحاديث النبوية الشريفة ، والمرويات عن الائمة عليه السلام، متناولين خلق ادم عليه السلام وبيان علته ثم خلق حواء عليها السلام وعلة الاختلاف بكيفيته ، كذلك نوه البحث الى الروايات الدخيلة والاسرائيليات ، التي قد يتصورها البعض من مسلمات تراثنا الاسلامي ، وكذلك بين اهمية خلق حواء وعلته كما كان للبحث العديد من المصادر والمراجع التي استند عليها وقد تناولنا ايضاحها في قائمة المصادر .

عرض البحث:

الخلق ، خلق بمعنى : الخليقة ، و الخليقة : الطبيعة و الجمع : الخلائق ، و الخلائق : نقر في الصفا و الخالق : الصانع ، و خلقت الأديم : قدرته و الأخلق : الأملس وهضبة أو صخرة خلقاء ، أي : مصمتة و اخلولق السحاب ، أي : استوى ، كأنه ملس تمليسا () ، يقال للجبل المصمت الذي لا يؤثر فيه شيء : أخلق ، والصخرة خلقاء – إذا كانت كذلك () .

اما الخالق فهي من صفات فعل الله جل جلاله فكما أن الخالق فاعل الخلق والرازق فاعل الرزق و ليست من صفات الذات الالهية ، لأن صفات الافعال مشتركة بينه و بين خلقه ، فإنه يقال : خالق الخلق له تعالى ، و خالق الافك لغيره تعالى ، و يقال : رازق الخلق له تعالى ، ورازق الجند لغيره تعالى ، ورب العالمين له تعالى ورب البيت لغيره () ، و قد سمى الله به نفسه اذ قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ () ، ولأنه عز وجل متصفا بصفات العظمة و الكمال غنيا في ذاته و صفاته عن غيره ، اقتضى العلم الأصلح و الحكمة البالغة ابداع الموجودات وايجاد

الممكنات فخلقهم و أبدعهم على ما شاء وأراد ، ولما أفاض الوجود علينا وصرنا موجودين ظهر لنا بما أرانا في الآفاق والأنفس من عجائب قدرته و بدائع صنعته و جوده و علمه و قدرته و حكمته و ارادته و ساير صفاته الكمالية و علمنا علما يقينا جامعيته لجميع الكمالات التي هي معنى إلهيته () ، لذا فجميع الموجودات هي من دلائل عظمته سبحانه و قد بين ذلك قول الامام الرضا برواية : ((عن علي بن الحسن بن علي بن فضال () ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : يا بن رسول الله لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى و لم يخلقه نوعا واحدا ؟ فقال : لئلا يقع في الأوهام إنه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا وقد خلق الله عز وجل عليها خلقا ولا يقول قائل : هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق على صورة كذا و كذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه إنه على كل شئ قدير)) () .

ومناً منه عز وجل على خلقه ، ان ذكر و بين خلق ممثل البشرية على اطوار ذكرها لنا في كتابه العزيز ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ () وقال في اية اخرى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ () ، اما مقتضى الحكمة في خلقه من الطين فقد بينها امير المؤمنين في خطبته القاصعة ((... ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه ، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل ، و لو فعل لظلت له الأعناق خاضعة و لخفت البلوى فيه على الملائكة ، ولكن الله – سبحانه – يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزا بالاختبار لهم و نفيا للاستكبار عنهم و إبعادا للخيلاء منهم . فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس ...)) ().

اما عن خلق ادم واطواره فقد وصفها وبينها امير المؤمنين بيانا دقيقا فقال : ((ثمّ جمع سبحانه من حَزن الأرض وسهلها ، وعذبها وسبخها ، تربةً سنّها بالماء حتى خَلصت ، ولاطها بالبلّة حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول ، أجمدها حتى استمسكت ، و أصلدها حتى صلصلت ، لوقت معدود وأمد معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها ، و فكر يتصرف بها ، و جوارح يختدمها ، وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق و الباطل و الأذواق و المشام و الألوان والأجناس ، معجوناً بطينة الألوان المختلفة ، و الأشباه المؤتلفة ، و الأضداد المتعادية ، و الأخلاط المتباينة من الحر و البرد و البلة و الجمود)) () ، و قد وصف خلق ادم على ثلاثة اطوار و هي الطـور الأول: طور التخليق قال تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾ () ، ويضم أربعة مراحل هن المرحلة الأولى: مرحلة التراب ، المرحلة الثانية : مرحلة الطين ، المرحلة الثالثة : مرحلة الطين اللازب ، المرحلة الرابعة : مرحلة الصلصال والحمأ المسنون ، الطور الثاني : طور التصوير ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ () ، الطور الثالث : نفخ الروح: لما أراد الله بث

الحياة في جسد آدم علية السلام ، نفخ فيه من روحه فصار مخلوقاً حياً ، قال تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ () ، وقد فصل هذه المراحل والاطوار احد الباحثين فبين معناها ودلالاتها () ، غير ما نريد ان نلفت له العناية ان الامام و هو يصف خلق ابا البشرية وخاصة بعد اكتمال اطواره الخلقية انه تمثل انسان ولم يقل انه ادم ويوضح ما فيه من اختلافات عن جميع خلق الله من فكر وطبائع ائتلفت او اختلفت في ذلك المخلوق ، ولعل عدم تشخيصه باسمه كناية على اصل الانسانية اجمعها وما كان من تلك الصور في خلق ادم الا مثال لأساس خلقتهم اجمعين ابيضهم واسودهم اناثهم وذكورهم .

ان خلق الانسان الذي اشار له حديث الامام ، يبين انما كان خلق لكلا الجنسين و هذا ما نستطيع ان نفهمه من الشرح لبعض مفرداته ((... والذهن في اللغة الفطنة والحفظ ، و في الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل و الحس الباطن ، والفكر جمع فكرة وهى قوة للنفس بها تحصل الإدراكات العقلية ، ويشبه أن يكون أصل الإنسان أنس و هو الأنيس ، والألف والنون في أصل لحوقها له للتثنية ، وذلك لأن الأنس أمر نسبي لا يتحقق إلا بين شيئين فصاعدا ، ولما كان كل واحد من الناس يأنس بصاحبه قيل إنسان ...)) () ، لان الانس لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا نقول ان الكلام كان في خلق جميع الناس ، الذين امتلكوا تلك القوى المدركة و كذلك القوة النفسية ، بنفس القدرة و نفس الكيفية عموما ، لا فرق بين الافراد او الاجناس بين الابيض والاسود وبين الذكر والانثى ، و يؤكد ذلك قول رسول الله (□) : ((إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك)) () .

اما خلق ام البشرية حواء ، فقد كان فيه اختلاف كثير ، وذلك باختلاف الروايات التي تتحدث عن كيفية خلقها ، فقد ذكر لخلقها ثلاث روايات ، بنيت عليهن رؤى فترتب عليهن الكثير من التبعات منها الفقهية والشرعية ، و كذلك انسحبت تلك التبعات على جوانب الحياة العملية كافة وحتى نسلط الضوء على تلك الروايات وتبعاتها ، سنأخذ كل رواية وما ترتب عليها :

الرؤية الاولى :

بنيت هذه الرؤية على اساس ان حواء قد خلقت من الضلع الايسر لادم ففي رواية طويله استند عليه البعض في وضع بعض الاحكام () ، ان الامام علي ميز بين المرأة و الرجل و الحق الخنثى بالرجال بناء على عدد الاضلاع حيث جاء في نهايتها ((... فقال : زوجها : يا أمير المؤمنين ، ابنة عمي و قد و لدت مني ، تلحقها بالرجال ؟ ! فقال : إني حكمت فيها بحكم الله تعالى ، إن الله تبارك و تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى ، و أضلاع الرجال تنقص ، و أضلاع النساء تمام)) () ، و لا يخفى ما يترتب على

ذلك التمييز في نشأة التركيب الجسماني فجعلوا حواء مخلوقة من شيء حي و ذكروا حديث اخر بنفس الدلالة نسبوه للإمام جعفر الصادق بانه قال ((إن الله خلق آدم عليه السلام من الماء و الطين فهِمة ابن آدم في الماء و الطين و خلق حواء من آدم فهمة النساء في الرجال فحصنوهن في البيوت .)) () ، و من تبنى هذا الرأي و هم كثر جعلوا له تأويلات منها ((... ورد أنها خلقت من ضلعه الأيسر إشارة إلى أن الجهة الجسمانية الحيوانية في النساء أقوى منها في الرجال و الجهة الروحانية الملكية بالعكس من ذلك وذلك لأن اليمين مما يكنى به عن عالم الملكوت الروحاني و الشمال مما يكنى به عن عالم الملك الجسماني فالطين عبارة عن مادة الجسم و اليمين عبارة عن مادة الروح و لا ملك إلا بملكوت و هذا هو المعني بقوله و كلتا يديه يمين فالضلع الأيسر المنقوص من آدم كناية عن بعض الشهوات التي تنشؤ من غلبة الجسمية التي هي من عالم الخلق و هي فضلة طينة المستنبط من باطنه التي صارت من مادة لخلق حواء فنبه في الحديث على أنه جهة الملكوت و الأمر في الرجال أقوى من جهة الملك و الخلق و بالعكس منهما في النساء فان الظاهر عنوان الباطن و هذا هو السر في هذا النقص في أبدان الرجال بالإضافة إلى النساء)) () ، واستندوا على ادله و منها قول الرسول (□) إن المرأة خلقت من ضلع ، فإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وإن تركتها و فيها عوج استمتعت بها () ، و الحقيقة ان هذا القول يأخذ مديات كبيرة فقد يستفاد منه ان الله قد خلق المرأة عوجاء اصلا و لا يمكن فيها الاستقامة و يمكن ان تحمل على ان هذا العوج هو عاهة يجب ان تتقبل في المرأة لان الله خلقها هكذا ، و اذا كان هذا امر الله في خلقه فلما التشنيع او محاولة التقويم اصلا ، بالإضافة الى تبادر بعض التساؤلات مثل : هل هذا الاعوجاج في كل جوانبها الروحية منها و البدنية ؟ و اذا كانت عوجاء وفق خلق الله و ارادته لماذا يحاول تقويمها الرجل ؟ الا تعني محاولاته اعتراضا على الخلق و من ثم الخالق ؟! ، و هل خلق المرأة من ضلع الرجل هو سبب اهتمامها به ؟ و هل تتجسد حاجات المرأة فقط في الرجل ؟ و لذلك وضع همها فيه!! الا تحتاج المأكل و المشرب ؟!! فلا يكون لها هم فيهما مثلا ، و هل المرأة ليست انسان ؟! ولذلك لا تدخل في قول الله جل جلاله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ () !! .

الرؤية الثانية:

استندت هذه الرؤية على رواية ان يزيد بن سلام () سأل الرسول(□) عدة اسئله و ومنها سؤاله عن خلق ادم عندها قلت أخبرني عن آدم خلق من حواء أم خلقت حواء من آدم ؟ قال : بل حواء خلقت من آدم و لو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء ، و لم يكن بيد الرجال ، قلت : فمن كله خلقت أم من بعضه ؟ قال : بل من بعضه ، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال ، قالت : فمن ظاهره أو باطنه ؟ قال : بل من باطنه و لو خلقت من ظاهره لانكشفن النساء كما ينكشف الرجال ، فلذلك

صارت النساء مستترات ، قلت : فمن يمينه أو شماله ، قال : بل من شماله ولو خلقت من يمينه لكان للأنثى كحظ الذكر من الميراث ، فلذلك صار للأنثى سهم وللذكر سهمان ، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد ، قلت : فمن أين خلقت ؟ قالت : من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر ، قلت : صدقت)) () ، ولا يخفى ان هذه الرواية اعطت تعليل للكثير من الاحكام الشرعية والتي تمثل صورة الاختلاف بين الجنسين واحكامهما ، كما تأول البعض في القول بخلق حواء من ضلع ادم فقالوا ((أما قول الله عز وجل : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " فإنه روي أنه عز وجل خلق من طينتها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا و نساء و الخبر الذي روي " أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيح و معناه من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر فلذلك صارت أضلاع الرجل أنقص من أضلاع النساء بضلع)) () ، ويوضحون كيف كان ذلك الخلق فيبينون ((إن حواء خلقت من فضلة الطينة التي خلق منها آدم وكانت تلك الطينة مبقاة من طينة أضلاعه ، لأنها خلقت من ضلعه بعدما أكمل خلقه فاخذ ضلع من أضلاعه اليسرى فخلقت منها)) ( ) .

ان مثل هذه الرأي يشعرنا بالاستغراب ويثير بنا الاستفهام ، فأن من تبنى هذا الرأي انما اخذ على عاتقه التعليل حتى لا يؤخذ على رواية خلق حواء من ضلع ادم أي مآخذ او تشنيع على النبي ادم بأنه ينكح نفسه ، لأنها من طينته و ليست من نفس جسمه ، و هذ ما يجعلنا نتسائل ، لماذا كانت هناك فضلة بالطين ؟ لما لم يجعل الله لكل واحد منهما طينته ؟ فأن كان يقصد نفس نوع الطينة فذلك على الله يسير ان يجعل لهما نفس الطينة ؟ لما ينقص الله ضلع ادم الم يكن جل شأنه يعلم انه يخلق حواء فيجعل لها طينة من غير ان ينقص منه ، وكيف يكون من خلق من الجزء تاما و الاصل ناقص ، يبدو ان مثل هذا الرأي قد يفتح باب للمشككين في قدرة الله جل وعلا ، فهو قادر على ان يخلق انسان كامل و يخلق له مثله دون تنقيص او زيادة .

الرؤية الثالثة :

اما الرأي الاخير فهو ما أستند به على قول الامام الصادق حين سؤل عن خلق حواء في حديث طويل و منه ((... سئل " ع " عن خلق حواء و قيل له ان أناسا عندنا يقولون إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى ؟ قال سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، أيقول من يقول هذا إن الله تبارك و تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجته من غير ضلعه ... ان الله خلق آدم ثم ابتدع له حواء ...)) () ، و من الملاحظ ان الرازي استفاد من قول الامام هذا وبنا عليه رأيه في خلق حواء ((... لأنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلق آدم ابتداء فما الذي حملنا على أن نقول أنه تعالى خلق حواء من جزء أجزاء آدم ؟ ولم لا نقول : إنه تعالى خلق حواء أيضاً ابتداء ؟ وأيضاً الذي يقدر على خلق إنسان من عظم

واحد فلم لا يقدر على خلقه ابتداء ، و أيضاً الذي يقال : إن عدد أضلاع الجانب الأيسر أنقص من عدد أضلاع الجانب الأيمن فيه مؤاخذة تنبي عن خلاف الحس و التشريح ...)) () ، في قول الامام تنزيه لقدرة الله سبحانه و تعالى و فيه اشارة الى ان خلق حواء كان ابتداع من غير موجود و هذا ما تؤكده كلمة ابتداع ففي اللغة ان البدع : إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة و الله بديع السماوات و الأرض ابتدعهما ، و لم يكونا قبل ذلك شيئا يتوهمهما متوهم ، و كذلك بدع الخلق ، و البدع : الشيء الذي يكون أولا في كل أمر ، كما قال الله عز وجل : قل ما كنت بدعا من الرسل ، أي : لست بأول مرسل ، لقد جئت بأمر بديع ، أي : مبتدع عجيب ، وابتدعت : جئت بأمر مختلف لم يعرف ذلك و يقرأ : بديع السماوات و الأرض بالنصب على جهة التعجب لما قال المشركون ، بدعا ما قلتم و بديعا ما اخترقتم ، أي : عجيبا ، فنصبه على التعجب ، هو اسم من أسماء الله ، و هو البديع لا أحد قبله () .

ان خلق ادم على اطوار هي لحكمة ربانية متعالية ، قد يمكن الوصول الى شيء منها و معرفة العلة في تلك الاطوار فربما كانت ((... لعله من باب اللطف في حق الملائكة لتذهب ظنونهم في ذلك كل مذهب فصار كإنزال المتشابهات الذي تحصل به رياضة الأذهان في تخريجها و في ضمن ذلك يكون اللطف او إنّ السر فيه لعلة اعتبار الملائكة ، إذ الاعتبار في التدريج أكثر أو ليعلم النّاس التأني في الأمور وعدم الاستعجال ، و مثله خلق السماوات و الأرض في ستة أيام على ما نطق به القرآن الحكيم مع أنه سبحانه كان قادرا على خلقها في طرفة عين ، قال أمير المؤمنين : و لو شاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق ، و لكنه جعل الانائة و المداراة مثالا لأمنائه و ايجابا للحجة على خلقه)) () ، او ربما كما قد يعلل انه تعالى أراد أن يعلم الناس انهم في الخلق سواء ، لا فضل لأبيض على أسود ، وان يعتبروا بقدرة الله التي خلقت من المادة الصماء إنسانا عاقلا يفعل الأعاجيب ، ويومئ إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ () ، و أيضا أن يستدل الانسان على النشأة الثانية بالأولى كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ () ، وقال الإمام : ((عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى ، و هو يرى النشأة الأولى)) () ، وفي هذا ما يدل على ان في ذلك الخلق على اطوار انما عبرة للخلق سواء كان انسان او مخلوق اخر () ، فمهما كانت تلك الحكمة فقد اجراها الله في خلق ادم و لذا ممكن ان يكون خلق حواء دون تك الاطوار لانتفاء العلة و انما كان خلقها بمشيئة الله في الاشياء ان يقول لها كوني فتكون بلا حاجة منه لقول سبحانه و تعالى﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ () .

غير ان البحث في علة خلق حواء ، يعطينا فكرة حول دورها ورسالتها الانسانية و ذلك اعتماد على ما قد نصل اليه من تلك العلل ، فقد ذكرت جملة اسباب ممكن ان تكون العلة في خلقها

و منها قول الامام الصادق ((... قال آدم : يا رب فهذه أمتك حواء ، قد رق لها قلبي ، فلمن خلقتها ؟ قال الله تعالى : خلقتها لك لتسكن الدنيا ، فلا تكون و حيدا في جنتي ؟ قال : فأنكحنيها يا رب ، قال : أنكحتكها ، بشرط أن تعلمها مصالح ديني ، و تشكرني عليها ، فرضي آدم بذلك)) [0] ، و منها ما قيل برواية عن ((ابن عباس و ابن مسعود : إنه لما أخرج إبليس من الجنة و لعن ، و بقي آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه ، فخلقت حواء ليسكن إليها)) [0] ، ((... فقال آدم عليه السلام عند ذلك : يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه و النظر اليه ؟ فقال الله تبارك و تعالى يا آدم ، هذه أمتي حواء أفتحب أن تكون معك تؤنسك و تحدثك و تكون تبعا لأمرك ؟ فقال : نعم يا رب و لك علي بذلك الحمد و الشكر ما بقيت فقال له عز وجل : فاخطبها إلي ، فإنها أمتي و قد تصلح لك أيضا زوجة للشهوة ، و ألقى الله عز وجل عليه الشهوة و قد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء ...)) [0] .

ان قراءة متفحصة لتلك الروايات نجد ان هناك اختلافات في بعض مفرداتها ، و هذا يعطينا فهما ان النصوص قد نقلت بشي من التغيير سواء ذلك بالقصد نتيجة لما كان سائد من نظرة المجتمع للمرأة آنذاك ، او انها نقلت حسب فهم الناقل للرواية و بمفرداته هو مع محاولة للمحافظة على مفردات النص و رغم وجود بعض الاعتراضات عليها مثلا انه سبحانه خلقها لكي تسكن مع ادم الدنيا و في العبارة التي تليها انه لا يبقى وحيد في الجنة ، كما يبدو ان ادم كان يانس بإبليس فلما طرد استوحش و كذلك ان الرواية الاولى تقول انه هو من بادر لخطبتها و نكاحها و الرواية الثالثة تدلل على ان في بداية خلقها كانت لمؤانسته فقط ثم القية عليه الشهوة وامر ان يخطبها و كذلك ان المرأة اما انها خلقت لأجل ادم او انها خلقت لتكون تبعا لإمره ، الا ان خطوط التشابه في تلك النصوص تعطينا تصورا هو ان خلق المرأة بعد خلق الرجل ، وان من اسباب خلقها ان يسكن اليها ، فترد بذلك و حشته و يأنس بها ، حيث لا انيس له من جنسه ، وكذلك تكون زوجته لما جعل الله فيه من شهوة ، ان الله سبحانه و تعالى جعل امرها اليه سبحانه فكان على ادم ان يخطبها منه ويؤدي حق خطبتها ، و قد سبق منه الشكر و الحمد لله على خلقها لان الله خلقها لأجله وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق المرأة (حواء) بعد ادم .

و مما سبق يكون العلة في خلقها ان يانس بني ادم بعضهم ببعض كونهم من نفس الجنس ، و ليسكن بعضهم لبعض سواء بالزواج او المودة و الرحم ، و تبقى الذرية على مر الأزمان ، إلى قيام الساعة ، فان بقائها سبب لبعثه الأنبياء ، و تشريع الشرائع ، و نتيجة الأمر معرفة الله ، و تأكيد اهمية العلاقة الزوجية منافع كثيرة دينية و دنيوية و اخروية [0] ، او بصلة الرحم التي

سببها المرأة ، ان خلق المرأة للرجل لتكون تبعا له هو امر ليس صائبا ذلك لان الرجل يحتاجها و هي تحتاج الرجل بنفس الكيفية و هو نظام الحياة البشرية اي ان وجود الاثنين هو تعاضدي و ذلك بالنظر إلى نظام تكثير النسل و استمرار البشرية و تقول الآية : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ () ، و جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتكون سكنا لأرواحكم و أجسادكم و سببا لبقاء النسل البشري () ، لأن وجود هذين الجنسين أمر ضروري للنظام الاجتماعي الإنساني () ، كما ان العلة التي ذكرت وكانت قبل كل ذلك ليكون وجود ادم وزوجة سببا وعلة للوجود الانساني للنبي (□) واهل بيته بعد ان كانوا نورا يسعى بين يدي الله سبحانه وتعالى قبل ان يخلق ادم باربعة عشر الف سنة () ، حيث قال رسول الله (□) ((... يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ، ولا السماء ولا الأرض ...)) () .

و مما سبق ممكن ان نستخرج بعض الامور الاساسية في فهم نظرة الاسلام للإنسان بصورة عامة و المرأة بصورة خاصة و هي :

- ان خلق الانسان هو مظهر من مظاهر عظمة قدرة الله في الخلق ، ان تكوين الإنسان أكبر دليل على عظمة الله ، و إذا كان النظر إلى السماء يجعل الإنسان يشعر بضالته فان تأمل الإنسان في نفسه يجعله يشعر بعبقرية ، و بعظمة الذي خلقه ، و خلق الأكوان كلها () .
- ان تكوين الإنسان أكبر دليل على عظمة الله ، و إذا كان النظر إلى السماء يجعل الإنسان يشعر بضالته فان تأمل الإنسان في نفسه يجعله يشعر بعبقرية ، و بعظمة الذي خلقه ، و خلق الأكوان كلها () فهو مظهر من مظاهر تلك العظمة و القدرة الالهية .
- ان خلق ادم على اطوار لدلالة على أن الخلق لو تم في لحظة و احدة ، لكان ذلك أقل دلالة على عظمة الخالق و قدرته و علمه ، و لكن لما تمت عملية الخلق و التكوين في مراحل مختلفة و أشكال متنوعة ، و فق برنامج منظم محسوب ، كان لذلك دلالة أوضح على معرفة الخالق () ، و هذه المعرفة لا تخص الانسان وحدة و انما جميع المخلوقات .

- ان خلق المرأة و الرجل هو من نفس واحدة اي ان خلقهما متماثل فلا تمييز بينهما ﴿ و مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً ﴾ () ، و عليه يكون المعنى ان كلا من النفس الواحدة وزوجها خلق من أصل واحد ، وهذا الأصل هو التراب () ، لقوله تعالى : ﴿ و مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ().

- يبدو ان نظرية خلق حواء من ضلع ادم هي من الإسرائيليات او دخلت في التراث الاسلامي من خلال اعتماد القصة التي تذكر هذه القضية في العهد القديم ، ((فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدة من أضلاعه و ملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة و أحضرها إلى آدم ، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي و لحم من لحمي ، هذه تدعى امرأة لأنها من أمرئ أخذت ، لذلك يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بامرأته و يكونان جسدا واحدا)) () ، و من هذا فلا اثر يترتب على ما و ضع من تحليلات او علل بنيت على هذه القصة ، مثل ان المرأة في ضمن تكوينها العوج وان عملية استقامتها شيء من غير الممكن حدوثة .
- ان للتراث و قصص الاسرائيليات تأثير كبير على نظرة المجتمع الاسلامي للمرأة و التعامل معها لا تنسجم و الشريعة الاسلامية و برغم محاولات النبي والائمة ( ) من تصحيح تلك العادات و المخلفات التي استقرت في المجتمع قبيل الرسالة المحمدية الا ان شيء منها باق في المجتمع الاسلامي ، فتصدوا لها من خلال احاديثهم و سيرتهم مع نسائهم () .
- ان المرأة في نظر الله سبحانه و تعالى ، هي انسان له دور مكمل و معاضد لدور الرجل في بناء مجتمع انساني متكامل يسعى فيه الفرد ضمن المجموعة الى التكامل و النجاح في التمحيص و الاختبار بان يكون انسان كامل يمثل خليفة الله في الارض ، و من ثم يكون مصداق قوله تعالى ﴿ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ () .